

التواصل الحضاري بين منطقتي البحر الاحمر وشمال السودان كما تعكسها زخارف الفخار الأثري والزخارف المعاصرة (دراسة اثنواركيولوجية)

أستاذ مشارك- قسم الآثار- جامعة دنقلا

د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس

المستخلص:

نبعت فكرة هذه الورقة خلال زيارة قام بها الباحث لسوق شعبي يعرف «بسوق ديم العرب» بمدينة بورتسودان حاضرة ولاية البحر الاحمر في السودان . حيث لاحظ الباحث وجود بعض الزخارف المنقوشة علي بعض المنتجات المحلية التي تمثل وتعكس جزءاً من الثقافة المادية للسكان المحليين.تحاول هذه الورقة الربط بين هذه الزخارف وبعض الزخارف القديمة المنقوشة علي اسطح الفخار الاثري الذي تم العثور عليه في بعض من المواقع الاثرية الاستيطانية وبعض المدافن التي عمل فيها الباحث والتي ترجع لفترات تاريخية متباينة في شمال السودان. تهدف هذه الدراسة الربط بين الزخارف الاثرية التي نفذت في الماضي لتفسيرها شكلاً ومضموناً ووظيفةً من خلال مقارنتها بتلك الزخارف الموجودة في بعض عناصر الثقافة المادية المعاصرة في منطقة البحر الأحمر عبر منهج الاثنواركيولوجيا اعتماداً علي الصورة في موضوع المشابهة.

الكلمات المفتاحية : اثنواركيولوجي ، مجتمع البجا ، الثقافة المادية.

Ethno archaeology : Its approach used in archaeology to Know the part of life in the past through the local community . , Beja: Its contraction local community live in the Red Sea province ,The currently their cultural and traditional customs .And I hope so to contribute in this study .

Mohammed FathElrahman Ahmed Idris

Abstract:

The term " Archaeology" refers to the science of studying ancient cultures through objects and other artifacts recovered in old settlements ,graves and workshops.Ethnography is the science of studying cultural characteristics of current human groups : Ethno archaeology coms as an amalgamation of both terms to combinable mean the study of the past through the present .Through this method and for that purpose ,this paper attempts to link some current artistic designs noted by the author on utility objects in a traditional market of local Beja tribes in the town of port Sudan on the Red Sea in Eastern Sudan, with ancient counteracts of similar designs recovered from various archaeological sites in Northern Sudan .The objectives to reach their meaning, function , origin ect

Keywords: Ethno archaeology- Beja - Material cultural

مصطلحات الدراسة:

اثنواركيولوجي: مصطلح يتكون من عبارتين Ethno أي دراسة السمات الحضارية المادية للمجموعات المعاصرة archaeology هي دراسة السمات الحضارية للمجموعات القديمة . ويعني ادراج العبارتين دراسة الحضارة المدية المعاصرة لتسليط الضوء على المعثورات الحضارية المدية القديمة ومعرفة طرق صناعتها ووظائفها ونحو ذلك . والعبرة ليس لها مقابل باللغة العربية متفق عليه ولا ترجمة لها بل تعرّب اثنواركيولوجيا .

مجتمع البجا:

البجا قبيلة احد المجموعات السكانية التي تعيش علي سواحل البحر الاحمر في شرق السودان . طريقة حياتهم تشابه طبيعة المجتمعات ما قبل الصناعية (أي ما قبل طبيعة مجتمعات الثورة الصناعية ، المجتمعات الاوربية وهنا الفرق بينما بعد Sociology وما قبل Anthropology .

الثقافة المادية :

هي بعض من الثقافة المادية المحلية التي تنتجها المجتمعات المحلية من المواد الطبيعية كالحجارة ، والطين والعظام والخشب ، ويتم صناعة الفخار والجدران والاسلحة والمصنوعات الاخرى.

مقدمة:

أن الآثار هي نتاج سلوك انساني مرتبط بطبيعة المحيط حولها من بيئة بكل محتوياتها ولكل انسان حاجيات حياتية ووظيفية تساهم الافكار والمقدرات الفيزيكية في بنائها. وان كانت الاثواركيولوجيا هي محاولة فهم الماضي عبر الحاضر، فهي بالتالي تفرض ارتباطاً زمنياً علي الاقل بين الاثر والنتاج التراثي المشاهد. إلا انها في ذات الوقت تؤمن بالابتكار المستقل كما تؤمن بالانتشار وليس من تعارض .

منذ نشأة علم الآثار كان الرواد الاوائل ينطلقون في تفسيرهم للظواهر الاثرية علي القياسالاثنوغرافي وكانت المقارنة تجري علي اساس الشبه في الخصائص الشكلية للأشياء وعملية القياس الاثنوغرافي علي مستويين الأول يعتمد على القياس المباشر لخصائص شكل الاشياء المعاصرة وتلك التي يعثر عليها في مواقع اثرية . والمستوى الثاني المنهج التاريخي المباشر. ويحدث ذلك عندما يتمكن الباحث من الربط بين منتجاتالأناس معاصرينواخري مشابهه كشف عنهاومواقع اثرية استيطانية يرجح انها كانت لأسلافهم أو ذات علاقة بهم. وبالتالي يمكن ان تساهم في فهم الآثاريلإيضاح بعض تفاصيل المخلفات الاثرية التي وجدت في المواقعفي كشف تنقيتها وجوانبها الفنية والوظيفية وصلتها مع مناطق اخري ونحو ذلك.

تعريف الاثواركيولوجيا :

الاثواركيولوجيا منهج اثاري واثنولوجي جمع بين العبارتين Archaeology و Ethnology يوظف بدءاً لدراسة عناصر الثقافة المادية في المجتمعات المعاصرة باختلاف مستوياتها الثقافية . حيث تأخذ الدراسة عناصر الثقافة في كل من الاطار البيئي والاجتماعي ، وجمع المعلومات المتعلقة بها عن طريق المشاهدة للأفعال اليومية للبشر في سياقها المتحرك .وهي تجميع متطلبات اثنوجرافية اصيلة ومن ثم توظيفها لتفسيرالمعثورات أو الظواهرالأثرية.⁽¹⁾

كلمة اثنواركيولوجيا ليست مفردة حديثة الاستخدام بيد انها استخدمت من قبل (جيس فوركس) Jesse Feurkes في العام 1900م عندما قدم ورقة مفادها تذييد الآثاريين بمعرفة الحاضر للعمل الآثاري لمقارنة المعطيات الاثنوجرافية مع المعطيات الاثرية وما يؤخذ علي هذا التعريف سعته وكونه فضفاضاً اذ سلمنا بحقيقته ان كل تفسير اثاري يشتمل على اقامة تناظرات مع المجتمعات المحلية⁽²⁾.

يرى الامين في كتابه الموسوم «الاثواركيولوجيا الدراسة الاثرية للثقافة المادية المعاصرة » بانها الدراسة الميدانية للثقافة المادية للمجتمعات البسيطة والتقليدية المعاصرة وذلك من منظور ومناهج علم الآثار والهدف الرئيس من وراء ذلك هو جمع المعلومات من خلال المشاهدة والتجربة حول انماط وسلوك البشر .وما ينتج عنها من اشياء مادية . ومن ثم توظيف هذه المعلومات في بناء فرضيات ونظريات تعين الآثاري في تفسير بعض الظواهر الاثرية الغامضة وكشف معاني التنوع الملاحظ في المخلفات الاثرية.ظهر علم الآثار الجديد (New Archaeology) خلال العقد

السابع من القرن الماضي. يلبي حاجة لإعادة النظر في اهداف ومناهج علم الاثار السائدة. ومن هنا برزت الحاجة لمنهج يدرس الحضارة المادية وربط الخصائص الديناميكية في النظم التقليدية المعاصرة بالأنماط الاثرية.

بالتالي فان البحث الاثنواركولوجي يتناول قضية اكااديمية يعمل الباحث على صياغتها من المعطيات العلمية المتوافرة ويحدد من خلالها وصف الاهداف التي يظن ان تحقيقها يتم عبر دراسة حالة ام حالات ثقافية معاصرة في منطقة معينة . ويمكن من خلالها تفسير بعض الظواهر الاثرية . من الممكن تقديم تعريف مبسط للثنواركيولوجيا بوصفها نوعاً من الدراسات الميدانية ضمن المجتمعات المعاصرة يجري من قبل الأثاريين بغرض ايجاد اجابات لأسئلة محددة لفهم المادة الاثرية وتفسيرها . لوهلة الاولي يبدو ان هنالك علاقة معرفية ما يسعى الأثاريون الوصول اليها من خلال توظيف المعرفة المستقاه من دراسة المادة الثقافية للمجتمعات المعاصرة والهادفة الى تذليل الصعاب المرتبطة بتفسير المادة الاثرية

يمكن أيضاً تعريف الاثنواركولوجي بانه مجال بحث لإجابات تطرح عند دراسة المادة الاثرية من اجل الوصول الي النظام السلوكي الذي يحكم طبيعة المادة الثقافية material culture فدراسة العلاقة بين المادة الثقافية والثقافة الاجتماعية المتمثلة بالسلوك الانساني تتيح المجال لتطوير فرضيات عن سلوك الانسان في الماضي ، كما أن الدراسات الاثنواركولوجية تستند على اختبار مجالات متعددة للسلوك الاجتماعي الثقافي من منظور اثري⁽³⁾.

وظائف الاثنواركيولوجيا:

يمكن اجمال وظائف الاثنواركيولوجيا في ثلاثة مجالات :

اولاً: التركيز على الدراسات الاثنوغرافية على الوصف العام للمادة الثقافية والجوانب التي تتعلق بالجانب الاجتماعي واللغوي رغم أن هناك القليل من الدراسات الاثنوغرافية التي قدمت معلومات وغيرها تفصيلية عن مواقع السكن ، والتباين في الادوات واشكالها وعمليات رمي الفضلات ونحوها .

ثانياً :- إنقاذ المعلومات المتعلقة بأشكال المجتمع التي بدأت في الزوال .

ثالثاً :- استخدام المنهج الأثري ومن الملاحظ ان الدراسات الاثنواركيولوجيا قد وصفت من قبل آثاريين مختصين واذا سلمنا بان الاثنواركيولوجيا تتطلب ان يقوم عالم الاثار ببعض العمل الاثنواركيولوجي كعمل فرعي أو مجال اهتمام ثانوي ، فهنا يعالج عالم الاثار المعطيات الاثنوغرافية كما لو انها معطيات اثرية ، ويستخدم مناهج البحث الأثري من جمع العينات والتسجيل⁽⁴⁾ .

يطلق علماء الأنثروبولوجيا في معظم الاحوال على كل الموضوعات التي تتصف بكونها انتاج مادي لشعب معين مفهوم الثقافة المادية ، كما يعبرون عن كل عمليات التصنيع التي يقوم بها

شعب معين بمفهوم التكنولوجيا وتتضمن تلك المنتجات التي تدخل تحت مفهوم الثقافة المادية الأدوات والآلات والأسلحة والمركبات والابنية المادية بصورها المختلفة والملابس والحلي، ويدخل مفهوم التكنولوجيا استخدام الناس الطرق السحرية والممارسات الدينية كجوانب جوهريّة في العملية الانتاجية .

ركز علماء الأنثروبولوجيا اهتمامهم بالعادات المكتسبة عن طريق التعليم أو الجوانب المكتسبة عن طريق التعلم في السلوك التي تضم العادات والتقاليد التي ترجع الي الوراثة حيث من المعقول ان نفترض ان كل فرداً أو على الاقل كل مجموعة من الاشقاء من نفس الجنس يتميزون بالضرورة ببعض العادات والتقاليد المختلفة مقارنة بالأفراد الاخرين .

إن البشر لا يعيشون في فراغ وإنما هم في تفاعل مستمر مع البيئة التي يعيشون فيها ولا تضم البيئة بالطبع مجرد الارض والبحر والهواء والعناصر الطبيعية وإنما تضم علاوة على هذا الكائنات الحية العديدة والمتنوعة التي تشارك الانسان في عالمه . لذلك فان أي دراسة للإنسان لا يمكن ان تستكمل مقوماتها اذا اغفلت هذه العلاقة بينه وبين البيئة⁽⁵⁾.

لقد ظهر الفن منذ الاف السنين ومن خلال العمل اصبح شكلاً للتعبير عن مشاعر وافكار ومزاج الانسان ، واصبح مادة لمعرفة الواقع الحياتي المعاش وهو يمثل جزئية من قصة حياة الانسان القديم التي ما تزال معاشه حتي يومنا هذا من خلال الرسومات والفنون التي يستخدمها انسان اليوم.⁽⁶⁾

تتضمن الفنون الانشطة الجمالية المقومات العامة بين الشعوب المعاصرة على الرغم من ان البعض يرى اننا لا نستطيع ان نتبع تاريخ وأصل الفنون ومن المحتمل ان يكون النشاط الفني أو الجمالي استجابة لحسابات سيكولوجية أساسية

يلاحظ ان الفن يتضمن بصفة دائمة استخدام المصطلحات والرموز ويتطلب استخدام الرموز في الفن كما هو الحال في اللغة . ويحمل الفن مجموعة من المعاني التي تنقل من جيل الى آخر. وهذه الرموز تكون عرضة للتغير بمرور الوقت شأنها شأن أي جانب من جوانب الثقافة . ويقصد بالرمز (symbol) الشكل الذي يدل على شيء ما له وجود قائم بذاته يدل على شيء غيره⁽⁷⁾. وهو يستخدم كوسيلة من وسائل التعبير وذلك عن طريق الایحاء بالمعني المراد التعبير عنه دون ان يفصح عنه . والرمز يقوم في الفن بدور التجسيد المادي في حين يكون مغزاه المضمون ومن ثم فلا بد ان يكون الرمز لون من ألوان الصلة الروحية مع مغزاه بحيث يكون الرمز محتويًا على مضمون التمثيل الذي يريد ان يشير اليه . واذا كان الرمز هو احد صور ذلك التمثيل غير المباشر فان القصد من تحاشيه الوصف المباشر للشيء يرجع الي امرين فإما اخفائه واما إبرازه على نحو اشد لفتاً للنظر ، بل ويمكن ان يهدف الى اخفائه وكشفه في آن واحد . وهما ان الرمزية هي بمثابة اشارات أو رموز موحية دون أن تكون دلالات مطابقة للواقع والمنظور الطبيعي لعالم الاشياء الخارجية فهي ذات بعد ميتافيزيقي ولا شك ان اعلى مستوى في تأمل الفن يتمثل عند

اولئك الذين ينظرون اليه نظرة ميتافيزيقية . هناك اهمية خاصة للبحث عن الرموز في النواحي الفنية حيث ان الفنان يستخدمها للتعبير عن احساسه وانفعالاته نحو كل ما يهز مشاعره من افكار ومعتقدات⁽⁸⁾.

إن المنتجات الفنية كالأدوات والاسلحة وغير ذلك من مصنوعات قد قام افراد بصنعها سواء صنعوها بمفردهم ام بالاشتراك مع غيرهم . ويجب ان نضع في حسابنا انه ليس من فنان يعيش في عزلة فهو دائماً ما يؤثر ويتأثر بالمجتمعات الموجودة من حوله .

الفخار والدراسات الاثنواركولوجية:

تطورت دراسات الفخار شأن الفروع الأخرى من علم الاثار فقد استخدم الفخار في مرحلة ماء لرسم السجل الاثري والتعاقب الحضاري وكشف تقنيات وفنون المجتمعات القديمة وكشف تقنيات وفنون المجتمعات القديمة وصلاتها الحضارية . ومع بروز التيارات الحديثة وما تبعه خلال النصف الثاني من القرن العشرين طرحت اسئلة : مثلاً ما اسباب التغيرات التي تحدث علي الاناء الفخاري سواء مادته الخام أو اشكاله أو طرزه وما عليه من زخارف ؟ وهل هي نتاج تحول وظيفي ، ام انتشار ، ام تحول في اقتصاد المجتمع ؟ وهل يمكن كشف الاسباب . وهل يمكن ان يؤخذ كمؤشر اجتماعي ، اقتصادي ، او وظيفي؟.

كان لعلم الاثار الجديد في الستينات من القرن العشرين أثر واضح في الاجندة المعرفية التي يسعى علماء الاثار الى استنتاجها حول الماضي . فلم تعد الملاحظات العرضية حول انتاج بعض المواد الثقافية كافية من حيث الوصف أو التموضع المادي للسلوك من خلال المادة الثقافية كافيًا بالنسبة للآثارين لأجراء وجه المقارنة Analogy بين الماضي والحاضر . فأجندة علم الاثار الجديد ركزت على كيفية استنتاج الجوانب السلوكية من خلال دراسة المادة الثقافية⁽⁹⁾

فالدراسات حول المادة الثقافية من حيث الخصائص الشكلية والوصول الى جدول تصنيفي لها لم يعد الهدف الرئيس في حد ذاته . ولتوضيح هذه العلاقة ما بين الجانبين المادي والسلوكي في انتاج ادواتها مثل الفخار. الذي حظي بالنصيب الاكبر من الدراسات الاثنواركولوجية في محاولة لتفسير الماضي من خلال الحاضر نظراً لاستمرارية استخدام الفخار لدى العديد من المجتمعات في الوقت الحاضر من جهة والحاجة الي دراسات تجيب على الاسئلة والمشكلات البحثية الجديدة المطروحة من قبل الآثاريين من جهة اخرى . وقد اسهم هذا النوع من الدراسات علي ابرز التنوع السلوكي المتعلق بإنتاج الاواني الفخارية وحجم الانتاج وطبيعة المحتوى المرتبط به والتنوع الزخرفي المنفذ على الاواني الفخارية واسبابه والمحتوي التنظيمي المرتبط ، سواء بالإنتاج أو الزخرفة⁽¹⁰⁾.

الدراسات السابقة في مجال الدراسات الاثنواركولوجية :

اجريت بعض الدراسات السابقة التي اتبعت منهج الاثنواركيولوجيا ومنها الدراسة التي قام بها الباحثان عباس سيداحمد محمد علي وروبرسون عن الفخار اليدوي المروري مقارنة بالفخار في

منطقة جزيرة مروى القديمة كما أجرى الباحث يوسف مختار الأمين دراسة عن الثقافة المادية لمجموعات بدوية رعوية في المملكة العربية والسودان . والدراسة التي قام بها الباحثان العباس سيداحمد وجمال جعفر عن الأثواركيولوجيا والطب في السودان القديم . وايضاً الدراسة التي قام بها الباحث نبيل عبد الرحمن علي عن الدراسات الفخارية في علم الآثار وتوعها المعرفي. كما قام الباحث ابو عبدة الماحي خليفة بدراسة اثنواركيولوجيا لمجتمع البجا تحت عنوان نماذج لبعض عادات وتقاليدهم ومقارنة اثنواركيولوجيا مع مثيلاتها في الدولة الكوشية

الدراسة التطبيقية بمنطقة البحر الاحمر:

تقع ولاية البحر الاحمر في شمال شرق السودان بين خطي عرض 17-2-23 شمالاً خطي طول 3-33-5. 38 تحدها ولاية كسلا وساحل البحر الاحمر من الشرق، ومن الشمال جمهورية مصر العربية ومن الغرب ولاية نهر النيل . واختيرت بورتسودان عاصمة الولاية وتغطي مساحتها 212.800 كم. يبلغ عدد سكانها 1.396.000 نسمة (تعداد 2010).

اقليم شرق السودان يشمل المنطقة الساحلية المحاذية للبحر الاحمر والمنطقة الجبلية الى الغرب منها والتي تكسوها جبال البحر الاحمر ثم السهول الغربية ، وتتميز المنطقة الساحلية بالجفاف وتتخلل اراضيها الخيران التي تصب في البحر الاحمر ، والسهل الساحلي له تغطيه الصخور الرسوبية التي ترسبت في اوقات مختلفة في الجانب الشرقي من الولاية ويكون الحجر الجيري المرجاني الجزء الاكبر منه بالإضافة الى الصخور الرملية والطينية وترسبات خام الجبس. الصخور الاساسية تكون جبال البحر الاحمر التي ترتفع ارتفاعاً ملحوظاً بمحاذاة الساحل وفي الجانب الغربي توجد التلال والهضاب التي تنحدر منها العديد من المجاري المائية على شكل وديان وخيران اهمها خور بركة ، وخور عرب ووادي الرئيب وخور اربعات . ولا يوجد أي نوع من المزروعات علي امتداد هذا الساحل القاحل ، ويمارس السكان حرفة رعي الماشية ، وغالبية سكان هذا الاقليم ينتمون لقبيلة البجا التي تنقسم إلى عدة فروع، فمنهم البشاريين ويسكنون في منطقة مملكة ناقص، وقبائل الامرار وهم يقطنون في منطقة مملكة بقلين وقبائل الهدندوه وينتشرون في بقاع مملكة بازين وقبائل النبي عامر وموطنهم علي السواحل الجنوبية وقبيلة الحلقة ويقطنون في كسلا وما حولها⁽¹¹⁾.

الدراسة التطبيقية للثقافة المادية والمقارنة بينها وبين رسوم الفخار الاثري :

يري المحدثون الجدد كما يعبر عنهم «ايان هودر» ان النقطة المركزية في تفسير المادة الاثرية هي التمعن في الاطار والسياق الذي توجد فيه تلك المادة ، فالشيء يكتسب معناه بالمكان أو الحيز الذي يوجد فيه واتصاله بالظواهر والمواد الأخرى . فالارتباط السياقي يعطي الاشياء معاني مختلفة . وبسبب اعتماد السياق باعتباره محورياً أساسياً في دراسة الثقافة المادية على هذا النحو صار يطلق علي توجه المحدثين الجدد احياناً مسمى علم الآثار السياقي (Contextual Archaeology). إن الاهتمام

بالأبعاد الرمزية والتجريد في عناصر الثقافة المادية افضي الي التركيز على التأويل أو التفهيم انطلاقاً من الدور الفاعل لرغبات الافراد وميلهم الي الاستجابة لقواعد المجتمع أو تحريفها⁽¹²⁾.

يعتبر الفن بشكل عام بمثابة بلورة لكل نشاط اجتماعي وتوثيق صادق لوجدان البشرية وخصوصية الوعي الفكري في زمانه ومكانه، وهناك ارتباط وثيق ما بين المعني والتعبير لتوضيح الدلالة أو العلاقة بين الدال والمدلول⁽¹³⁾.

يعتبر الفنان البدائي فنان بالفطرة مرتبط بخيوط التقاليد الحضارية الموروثة من البيئة المحلية التي يعيش فيها . فأفكاره نسيج معتقدات وعادات وقيم مجتمعه وقيمه وطريقة رسمه للرموز جاءت ليعبر بها عن افكاره ، فهي في الغالب تخضع لخطوط تقليدية متعارفة فيها المجتمع واقام عليها معايير ومعانيه الفنية الجمالية. فالأعمال الفنية للفنان البدائي تخرج معبره تعبيراً صادقاً عن معتقدات ذلك المجتمع، وتعكس مصادر حضارته ومؤثراته التي تأثر بها سواء من ناحية الشكل والمضمون الفني أو من الناحية الوظيفية أو المعاني⁽¹⁴⁾ .

هنالك دوافع نفسية ادت الى نشؤ الفنون بصورة عامة وذلك بتأثير التفاعل المستمر بين السلوك الفردي للإنسان من ناحية وبين نظام المجتمع وتقاليده من ناحية أخرى وكان من اهم هذه الدوافع دافع الخوف الذي جعله يهتدى الى المعبودات ويجسدها ،ويقيم لها الاحتفالات ويرتدي اليها انواع معينه من الازياء ، والخوف من الطبيعة جعله يحمي نفسه من الاخطار بأدوات مختلفة. ومن الدوافع النفسية دافع المنفعة الذي جعله يستخدم ما هو متاح حوله لصنع ادواته وحاجياته الضرورية . وايضاً دافع حب الجمال الذي جعل الانسان يتزين بمختلف انواع الزينة في انحاء جسمه (العنق،الأذرع،الرجل والخصر).واخيراً دافع التقليد الذي جعل الانسان يقلد أو يحاكي ما يرى ويسمع ما حوله من افعال واصوات واشكال للحوانات وغيرها⁽¹⁵⁾.

بناءً علي هذه الدوافع النفسية (الخوف، المنفعة، حب الجمال، والتقليد) يمكننا ان نتتبع ظهور هذه الاشكال الفنية والرسومات المنفذة على الثقافة المادية المعروضة بسوق ديم العرب ببورتسودان وربطها بالرسومات المنفذة على اسطح الفخار الاثري الموجود في منطقة شمال السودان .

اذا اعتبرنا ان مجتمع البجا مجتمع تقليدي رعوي بمعنى انه مجتمع يرتبط بعلاقات نسب وتكوينات قبلية ومصالح مشتركة ويعتمد علي اقتصاد معيشي متوارث منذ ازمان بعيدة ولم تؤثر فيه ادوات وعلاقات الانتاج الحديثة بالقدر الذي يحدث تحولاً كاملاً في بنيات المجتمع فالمزارعون يستخدمون ادوات الفلاحة التقليدية المصنعة محلياً ، كما ان علاقات الانتاج والتوزيع لم تتبنّ اساليب السوق الحديث كما تتحكم فيها العلاقات الاجتماعية المتوارثة بدرجة كبيرة . اضافة الى ان اقتصادهم المعيشي لا يزال خارج دائرة الاقتصاد الصناعي الحديث ودراسة الثقافة المادية لهذا المجتمع تفيدنا في جمع المعلومات التي من خلالها التعرف على المجتمعات الرعوية التي ظلت محافظة على انظمتها وتراثها المادي باعتباره نظام ومط متوارث عبر الاجيال .ويمكن هنا استخدام

منهج علم الآثار التجريبي وهو محاولة إعادة التجربة التاريخية أو محاولة محاكاة أفعال الناس في الماضي، بتفسير دلالات ورموز الثقافة المادية المعاصرة والربط بينها وبين الرموز والرسومات الأثرية الموجودة علي أسطح الأدوات الفخارية التي تم استخراجها من المواقع الأثرية.

لاحظ الباحث ان هناك تشابه كبير بين هذه الرسومات المنفذة قديماً علي أسطح الفخار وبين الرسومات المنفذة علي بعض من الثقافة المادية الشعبية في سوق ديم العرب ببورتسودان وستتبع هنا منهج القياس الأثنوغرافي الذي استمر في الدراسات الأثرية حتي منتصف القرن المنصرم .

من خلال الملاحظات والمشاهدات المتكررة علي النقوش الموجودة علي أسطح الفخار الأثري الذي يعود لفترات تاريخية متباينة لاحظ الباحث ان الزخارف الموجودة علي أسطح الفخار الأثري تكاد تكون شبيهه بالزخارف المنفذة علي بعض الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية في الوقت الحاضر في منطقة البحر الأحمر، واعتمدت هذه الدراسة علي الصورة اعتماداً كبيراً لتوصيل الفكرة. وعلي سبيل المثال الملابس والاقمشة المعروضة في السوق الشعبي (سوق ديم العرب) لاحظ الباحث ان هناك علاقة تبدو في شكل اوجه الشبه بينها وتلك التي تظهر علي أسطح الفخار الأثري والنقوش المنفذة علي الملابس التي يرتديها اهل المنطقة. والموجودة علي أسطح الفخار الأثري المستخرج من حفريات اجريت بموقع عمارة شرق في العام 2019م ويعود تاريخه الي الفترة المروية نحو القرن الثاني قبل الميلاد. (لوحة رقم 1،2، 3،4).

نعرض ادناه وصف لبعض التفاصيل في الرسومات الأثرية ومثيلاتها علي ادوات المجتمع المحلي الحالي (الثقافة المادية) في المنطقة قبل ان نذهب الي تحليل تلك الظواهر .



فخار اثري مستخرج من موقع عمارة شرق

لوحة 1: بعض الاقمشة المعروضة بسوق ديم العرب



لوحة 2 : بعض الاقمشة المعروضة بسوق ديم العرب فخار اثري مستخرج من موقع عمارة شرق





لوحة 3: بعض الاقمشة المعروضة بسوق ديم العرب فخار اثري مستخرج من موقع جبل البركل



لوحة 4 قماش معروض بسوق ديم العرب عليه نقوش فخار اثري عليه سنابل القمح مستخرج من جبل البركل



لوحة 5: فخار اثري من موقع جبل البركل مقابض سكاكين مزخرفة معروضة بسوق ديم العرب



لوحة 6: فخار اثري من موقع دير الغزالينقش موجود علي السيفسوق ديم العرب



لوحة 7: نقش علي جفير السيف البجاوي بسوق ديم العرب نقش مشابه علي فخار اثري مستخرج من موقع جبل البرأ



لوحة 8: زخارف اعلي عصاة ابسوق ديم عرب زخارف شبيهه علي سطح فخار مستخرج من جبل البركل



سيف معروض بسوق ديم العرب عليا نقش الثعبان

لوحة 9: فخار من موقع جبل البركل مزخرف بثعبان الكوبرا



لوحة 10: رسومات لخطوط علي جفير سيف معروض بسوق ديم العرب رسومات علي اسطح الفخار شبيهه بالموجودة السيف



لوحة 11: نقوش غائرة علي السكاكين المعروضة بسوق ديم العرب نقوش غائرة علي اسطح فخار من موقع جبل البركل



لوحة رقم 12: رسومات علي اسطح فخار من موقع جبل البركل رسومات علي قطعة شبيهه بالرسومات علي سطح الفخار



زخارف من فخار أثري من موقع دير الغزالي



لوحة رقم 13 سلة مزينة بسوق ديم العرب



فخار مزخرف من موقع دير الغزالي الأثري



لوحة رقم 14: معلق مزخرف بسوق ديم العرب



اناء جينة مصنوع من الطين عليه نفس النقوش



لوحة رقم 15 : اناء جينة منحوتة من الحجر عليها نقوش



لوحة رقم 16: رسومات علي اناء فخاري من موقع دير الغزالي نقوش علي بيت من الخشب يستخدم لحفظ الجينة بسوق العرب





خطوط علي فنادةك بسوق ديم العرب ببورتسودان



لوحة رقم 17: خطوط على فخار اثري من موقع دير الغزالي



لوحة رقم 18 : اشكال هندسية علي فخارا اثري بموقع دير الغزالي خطوط مربعة على حجل معروض بسوق ديم العرب



لوحة رقم 19 فخار اثريمن موقع جبل البركل(البعثة الايطالية)حجول من سوق ديم العرب بورتسودان



لوحة رقم 20 فخار اثري من موقع جبل البركل(البعثة الايطالية) زينة تلبس بعثت المرأة بسوق ديم العرب

خاتمة:

من خلال السرد والعرض للوحات السابقة التي توضح الرسومات المنفذة على اسطح الفخار الأثري المستخرج من عدة مواقع أثرية ترجع لفترات تاريخية متباينة في شمال السودان (موقع عمارة شرق الذي يؤرخ للفترة المروية ، وموقع جبل البركل الذي تعاقبت فيه الفترات التاريخية منذ الفترة النبتية مروراً بالفترة المروية والفترة المسيحية والاسلامية . وموقع دير الغزالي الذي يؤرخ للفترة المسيحية) . وباستخدام مبدأ المشابهة (Analogy) الذي يعتبر من اهم الوسائل لملاء الفراغ بين الماضي والحاضر وحتى وان اختلفت بعض التفاصيل في طريقة الممارسة الا انه يعتبر السبيل الامثل لمعرفة الماضي من خلال دراسة الحاضر المعاصر . ذلك النوع من الدراسة يمكن ان يكشف أو يسلط الضوء على كثير من القضايا الأثرية التي يصعب تفسيرها بعيداً عن المنهج الأثنواركيولوجي . كذلك يصب هذا النوع من الدراسات من الدراسات بشكل فعال في قضية الاتصالات الحضارية بين المجتمعات في المناطق المجاورة والبعيدة عبر المسافات . كما يلقي الضوء على التطور الحضاري عبر الزمن بين المنطقة والواحدة . ويذهب ليساهم في كشف التغير الحضاري بين متناقضي التطور والانتشار الحضاري . خلافاً لقضايا اخرى مثل تطور الفنون والكتابات القديمة بل يذهب الى علم الآثار الأيحيائي cognitive وربما ابعد من ذلك . ويضيف بعداً جديداً في الاطار المعني الى القول «دراسة الحاضر لفهم الماضي» الى ما هو معروف سابقاً من «دراسة الحاضر لفهم الماضي» .

الهوامش:

- (1) ابوعبيدة الماحي خليفة، 2017م نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنواركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية ص 16.
- (2) يوسف مختار الامين، 2008م الاثنواركولوجيا- دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض-ص 11.
- (3) نبيل علي 2012م الدراسات الاثنواركولوجية مفهومها واستخداماتها في علم الاثار علي ، ص 25).
- (4) ابوعبيدة الماحي خليفة، 2017م نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنواركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية ، ص 8
- (5) يسري الجوهرى جغرافية البيئة، 2008: القاهرة ص 18.
- (6) رلا عصام نجيب ، 1997، تاريخ الفن ، دار المستقبل للنشر، عمان الاردن، ص4
- (7) ابوعبيدة الماحي خليفة، 2017م نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنواركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية ص 32.
- (8) يوسف مختار الامين 2008م الاثنواركولوجيا - دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، 2008: ص 94
- (9) أمل سليمان بادي، 1999 «الرمزية في فن الحضارة المروية (الرسم النحت) في جزيرة مروى *رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة الخرطوم .، 1999: ص 70
- (10) احمد محمد علي الحاكم، 1965 الزخارف المعمارية وتطورها في منطقة وادي حلفا، شعبة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم ص1.
- (11) محسن محمد عطية، 2006 الفن وعالم الرمز - دار المعارف - القاهرة ، ص 189
- (12) عبد الناصر يس 2006م الرمزية الدينية في الزخرفة الاسلامية (دراسة في ميتافيزيقا الفن الاسلامي -مكتبة زهراء الشرق- القاهرة . : ص 289
- (13) نبيل عبد الرحمن علي الدراسات الفخارية في علم الاثار وتنوعها المعرفي في 2017م ص 58
- (14) عمر ، 1989: عمر ، عاطف محمود، 1989م الدوافع النفسية لنشؤ الفنص 36 دار القلم القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) أبو عبيدة الماحي خليفة، 2017م نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنواركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية- مركز ثقافة وحضارة البجا.
- (2) أحمد محمد علي الحاكم، 1965 الزخارف المعمارية وتطورها في منطقة وادي حلفا، شعبة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم.
- (3) بادي أمل سليمان 1999 «الرمزية في فن الحضارة المروية (الرسم النحت) في جزيرة مروى رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة الخرطوم .
- (4) رلا عصام نجيب ، 1997، تاريخ الفن ، دار المستقبل للنشر ، عمان الاردن
- (5) عبد الناصر يس 2006م الرمزية الدينية في الزخرفة الاسلامية (دراسة في ميتافيزيقا الفن الاسلامي) -مكتبة زهراء الشرق- القاهرة .
- (6) عمر ، عاطف محمود، 1989م الدوافع النفسية لنشؤ الفن دار القلم القاهرة .
- (7) محسن محمد عطية ، الفن وعالم الرمز- دار المعارف - القاهرة .
- (8) نبيل علي 2012م الدراسات الاثنواركولوجية مفهومها واستخداماتها في علم الاثار
- (9) نبيل عبد الرحمن علي / الدراسات الفخارية في علم الاثار وتنوعها المعرفي.
- (10) يوسف مختار الامين 2008م الاثنواركولوجيا /دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض